النقد وأهميته في تصحيح مسار الصحوة الإسلامية

تأليف :

د. عقيل بن محمد المقطري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية قد وصلت إلى واقع مؤلم من ضعف وذلة وتفرقة وهوان على الأعداء وهذا كله بسبب الابتعاد عن الشرع الحنيف ، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)[2].

وقال أيضا: (يوشكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلةُ إلى قَصْعَتِها، فقال قائل: من قِلَّة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير، ولكنَّكم غُثاء كَغُثَاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قُلُوبكم الوَهْنَ، قيل : وما الوْهنُ يا رسول الله ؟ قال : حُبُّ الدُّنيا، وكراهيَةُ الموتِ)[3].

ومع هذا كله فإن بشائر الخير تلوح في الأفق متمثلة بهذه الصحوة المباركة في جميع المجالات مما أغاض أعداء الله من يهود ونصارى وعلمانيين ومنافقين، فهم يعملون جاهدين على إجهاض هذه الصحوة المباركة بكل ما يستطيعون، فتارة يبثون الشبهات وأخرى يشككون بالدعاة وأحيانا بالاندساس وإثارة الفتن لتفريق الصف.

فإن لم يؤثر هذا العمل فبالاتهامات الفارغة التي تكون سببا عندهم للزج بالدعاة إلى الله في غياهب السجون ومن ثم إلى المحاكمة ومن ثم إلى القتل وذلك مثل اتهامهم للدعاة العاملين المؤثرين بأنهم يتآمرون على قلب نظام الحكم أو الإرهاب والمسلم اللبيب يجد أنها حرب لا هوادة فيها على الإسلام وربما استخدموا نفس الأساليب

---

١ . إتحاف الخيرة المهرة الجزء (٤) الصفحة (٤٨٤)

٢ . التبويب الموضوعي للأحاديث الجزء (١) الصحفة (٢١٧٤٢)

٣ . جامع الأصول الجزء (١٠) الصفحة حديث رقم (٧٤٨١)

التي استخدمها كفار قريش قبلهم، وذلك مثل مطاردة الدعاة ليلقوا مصيرهم من السجن والتعذيب بل والقتل أحيانا.

فقريش أرسلت برسولين إلى ملك الحبشة النجاشي وأرسلت معهم الهدايا وطالب الرسولان النجاشي أن يسلمهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين فروا بدينهم (الصابئين)! أو بتعبير العصر:(الإرهابيين)[الأصوليين]!، لكن النجاشي لم يكن ليسيل لعابه لتلك الهدايا ، فلقد كان عادلا(لا يظلم عنده أحدا) كما وصفه نبينا عليه الصلاة والسلام، فقد استدعى الصحابة وسائلهم عن دينهم و....و....و...فلما عرف الحقيقة قال: (إن هذا "أي ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم" وما جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة).

فمن هنا رفض تسليم الصحابة وأرجع الرسل خاسئين واليوم أسس جهاز (الإنتربول) المعني بمطاردة (الإرهابيين) ومن ثم تسليمهم إلى أنظمة بلدانهم ليلقوا مصيرهم وتعقد بعض الحكومات فيما بينها (اتفاقيات) من أجل تبادل الإرهابيين ،فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالأمس قامت حكومة قريش بالتآمر على سيد الدعاة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يريدون قتله وإطفاء نور الله الذي جاء به، وتزعم الشيطان جلسة طارئة للنظر في تلك القضية وتمخض الاجتماع بقرار يقضي بأن يكلف من كل قبيلة شاب قوي ويجتمع هؤلاء الشباب فيهاجمون النبي عليه الصلاة والسلام فيضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلا تستطيع قبيلته أن تطالب بدمه.

واليوم عصبة الأمم بزعامة أمريكا إذا أرادوا ضرب أي شعب مسلم أو حصاره أو تجويعه عقدوا جلسة فصدروا عن رأي واحد، ومن ضمن تلك العصبة أعضاء عن الدول الإسلامية يحاربون أبناء دينهم، فما أشبه الليلة بالبارحة ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، هذا ولا يزال أعداء الله يعملون ليلا ونهارا لمقاتلة المسلمين في كل المجالات: عقديا وثقافيا وسياسيا...إلخ.

قال تعالى:{وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا }.

ومن الملاحظ أن أعداء الله تعالى حققوا أشياء من النجاح في زرع الخلاف بين المسلمين وتوسيع هوته.

فالمنافقون المندسون من جهة واليهود والنصارى من جهة والعلمانيون من جهة والشياطين من جهة (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب)[٤]، وأصحاب الأغراض والمصالح والمداهنات من جهة.

وأخطر هذه الفئات أولئك الذين يلبسون لبس أهل العلم وطلبته ويتكلمون باسم الدفاع عن الدين ويظهرون الغيرة عن الإسلام فتصدروا لبث الفرقة ومحاسبة الدعاة إلى الله والقدح فيهم وحاربوا عمل الخير المتمثل بالجمعيات الخيرية ،كل ذلك بحجة أنهم يطبقون علم الجرح والتعديل والحقيقة أنهم جرحوا ولم يعدلوا إلا من كان على شاكلتهم، فمجالسهم الغيبة والنميمة والتفسيق والتبديع والتضليل فهم مشغولون بتصنيف الناس ، فإذا تكلم متكلم بالسياسة الشرعية وفقه الواقع ووضح للمسلمين ما يحاك ضدهم، قالوا فلان إخواني، وإذا تكلم عن الفقه وحث على احترام الأئمة الأربعة وغيرهم ودراسة كتبهم حسب القواعد المعروفة لدى أهل العلم قالوا: مقلد، وإذا أعمل قواعد المصالح والمفاسد التي درج عليها أهل العلم سلفا وخلفا قالوا: مائع!، وإذا عمل في جمعية خيرية قالوا: دنيوي! ..إلى آخر قاموس السباب والألفاظ المستهجنة والطعن في النيات.

لهذا وغيره فقد قمت بفضل من الله بإلقاء محاضرة لمعالجة هذه القضية وذلك في جامع الخير منطقة (الكمب) بمدينة تعز من بلاد اليمن– حرسها الله – في منتصف سنة ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ،نظرا لانتشار هذا الداء العضال ووجود من يغذيه من الداخل.

فنالت هذه المحاضرة – بفضل الله وحده – رضى كثير من الشباب خاصة، فاستأذنني بعض الغيورين أن ينسخوا المحاضرة ويخرجوها في ملزمة ليعم النفع بها، فكانت هذه الرسالة المتواضعة في بابها مع بعض الزيادات التي أمكن إضافتها ، وقد أسميتها(النقد وأثره في تصحيح مسار الصحوة الإسلامية) أسأل الله جل في علاه أن ينفع بها إنه سميع مجيب، سبحانك اللهم وبحمدك وأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وكتب/ أبو عبد الرحمن عقيل بن محمد بن زيد المقطري

اليمن – تعز

شعبان ١٤١٢هجرية

٤ . إتحاف الخيرة المهرة الجزء (١) الصفحة (٢٥٠)

بين يدي التعريف

النقد:

شاع وانتشر مصطلح النقد في الآونة المتأخرة ، فسمع من المذياع وقرأ في الكتب والصحف والمجلات وردد في مجالس الناس، إلا أنه كان قديما لأناس معينين وتخصص النقاد في مختلف فنون العلم كالجرح والتعديل والعقائد والتاريخ والأصول والأدب والفقه.. وهكذا، ومن طالع كتب التراجم وجد من يوصف بأنه نقاد وناقد، ولكن في هذه الآونة المتأخرة اشتغل به من يحسن ومن هو أهل ومن ليس بأهل وذلك لوجود الفوضى العلمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٧ – ٨) : وقام علماء النقد و النقاد بعلم الرواية و الإسناد فسافروا في ذلك إلى البلاد و هجروا فيه لذيذ الرقاد و فارقوا الأموال و الأولاد و أنفقوا فيه الطارف و التلاد ..... الخ) .

و مما لاشك فيه و لا ريب أن النقد و النقد البناء فقط له أهمية في تصحيح مسار الصحوة فالفرد والجماعة مفتقرون إليه لأنه يوضح الخطأ من الصواب فالصحيح يتبع و الخطأ يهجر و يترك . ولنشرع الآن في تعريف النقد لغة و اصطلاحا ..

تعريف النقد:

النقد لغة : قال ابن منظور :(و النقد و التنقاد: تمييز الدرهم و إخراج الزيف منها)

أنشد سيبويه :

تنفي يداه الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير تنقاد الصياريف

إلى أن قال : و ناقدت فلانا أي ناقشته في الأمر .

وفي حديث أبي الدرداء أنه قال (إن نقدت الناس نقدوك و إن تركتهم تركوك) معنى نقدتهم أي عبتهم و اغتبتهم قابلوك بمثله .(انظر لسان العرب ٣/ ٤٢٥-٤٢٦).

و أما في الاصطلاح: فيراد به معنيان :

الأول : بيان الجيد و تمييز الرديء و المراد به تمييز الأقوال و الأفعال و الاعتقاد و الهيئات و المصنفات و الجماعات فيتبين الصحيح من الضعيف و الهدى من الضلال و الحق من الباطل .

و الحكم عليها و على قائليها بما يستحقون وفق ميزان دقيق فيه العدل والإنصاف . و أما إذا كان النقد لبيان العيوب و المساوئ من شخص ما أو جماعة أو هيئة وهو سائغ أحيانا كأن يكون الشخص داعية إلى بدعة مكفرة أو فكر منحرف .

والأصل في هذا الجانب هو ذكر المحاسن و المساوئ . أما إذا كان هذا الكلام في المسائل الاجتهادية أو مسائل الفروع ففي هذه الحالة لا بد من الإنصاف والإعذار فهذه مسائل قد اختلف فيها الأوائل و مع هذا لم يفسق بعضهم بعضا و لم يبدع بعضهم بعضا بل كل واحد يقف عند القول الذي اقتنع به و يعذر القائلين بخلافه .

ومن هنا يتبين لنا أن النقد قسمان :

الأول : * نقد بناء *

و القائل به محمود و نيته حسنة . وهو صاحب غيرة على الدين و ليس مراده من النقد التنقص من الآخرين وهدم العمل الإسلامي ومحوه من على ظهر الأرض وإرجاعه إلى الفوضى والفردية . وصاحب هذا القول معتدل ومنطلق من أسس وضوابط منهجية سار عليها السلف الصالح . فهذا النوع من أنواع النقد هو الذي يبني

ولا يهدم وهو الذي يكون بمثابة البلسم على الجرح فيقوم الاعوجاج و يصحح المسار . وهذا النقد ضروري للفرد والمجتمع حتى لا تبتعد الصحوة كثيرا عن الحق وحتى تكون أقرب ما يكون إلى المنهج الرشيد السديد .

الثاني : * نقد هادم *

المراد فيه الطعن والتجريح لأهل العلم وللجماعات والهيئات وتنفير الناس من الالتفاف حولها لنصرة الدين . و هذا ناتج عن مرض في النفوس و هوى متبع وجهل في المنهج و أكثر هؤلاء من أدعياء العلم فالمشتكى إلى الله ..

هذا و قد حذر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أشد التحذير من تجرؤ هذا الصنف من الناس في الكلام على الأشخاص و الطوائف والمقالات فقال :– رحمه الله :

(و الجاهل في كلامه على الأشخاص و الطوائف و المقالات بمنزلة الذباب الذي لا يقع إلا على العقر ولا يقع على الصحيح . و العاقل يزن الأمور جميعا هذا وهذا)

و قد قال الشاعر :

شر الورى من يعيب الناس مشتغل مثل الذباب يراعي موضع العلل

* الأمور التي تنقد *

الأمور التي تنتقد هي المناهج والأفكار والمعتقدات والآراء التي تتبناها الجماعات أو الهيئات أو الأشخاص ولا يجوز التعرض للأشخاص بأسمائهم فإن هذا ليس من منهج أهل السنة والجماعة إلا ما ذكرناه قبل من أنه يتسامح في ذكر الأشخاص والهيئات إذا كانوا دعاة إلى البدعة كالجهمية و المعتزلة و العلمانية و ..... الخ

* من له حق النقد *

إن النقد له رجاله المتخصصون فيه و لهم مواصفاتهم . ذكرها علماؤنا رحمهم الله . ولا يجوز لمن تتوفر فيه تلك المواصفات أن يقحم نفسه في هذا المجال . بل أنه لا يجوز لأحد أن ينتقد في غير ما هو ملم به .

فالمؤرخ مثلا لا يجوز له أن ينتقد في الحديث . و الأصولي لا يجوز له أن ينتقد في التاريخ – وهلم جرا – إلا أن يكون قد تخصص في أكثر من فن .

و إليك مواصفات من له حق النقد :

قال الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه " الرد الوافر " ص ٣٧ :– (و الكلام في الرجال و نقدهم يستدعي أمورا في تعديلهم و ردهم منها : –

أن يكون المتكلم عارفا بمراتب الرجال و أحوالهم في الانحراف و الاعتدال و مراتبهم في الأقوال و الأفعال و إن يكون من أهل الورع و التقوى مجانبا للعصبية و الهوى خاليا من التساهل عاريا عن غرض النفس بالتحامل مع العدالة في نفسه و الإتقان و المعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها الإنسان و إلا لم يقبل قوله فيمن تكلم و كان ممن اغتاب وفاء بمحرم).

دواعي النقد :

١- الجرح و التعديل :

وهذا يكون للأفراد و الجماعات و لقد قام سلفنا بهذا الأمر خير قيام و من قرأ كتب الجرح و التعديل عرف ذلك و علم الإسناد و ما يتعلق به من جرح و تعديل يعد من خصائص هذه الأمة المباركة قال العلامة ابن الصلاح كما في علوم الحديث (ص ١٣١):

" أصل الإسناد أولا خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة و سنة بالغة من السنن المؤكدة " و قال أبو حاتم الرازي رحمة الله عليه كما في شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٤٣" لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة فقال له رجل : يا أبا حاتم ربما روى حديث لا أصل له و لا يصح فقال : " علماؤهم بالإسناد يعرفون الصحيح من السقيم فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار و حفظوها "

فلهذا أهتم علماؤهم بالإسناد منذ ظهور الفتن و فتشوا عن الرجال و تركوا أهل الفسق و التخليط و الكذب ومن نظر في كتب الجرح و التعديل وجد فيها ألفاظ الجرح و التعديل و مراتب هذه الألفاظ قال الإمام ابن أبي حاتم في كتاب الجرح و التعديل ص ٥ ((فلما لم نجد سبيلا إلى المعرفة شيء من معاني كتاب الله و لا من سنن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا من جهة النقل و الرواية وجب أن يميز بين عدول الناقلة و الرواة و ثقاتهم و أهل الحفظ و التثبت و الإتقان منهم و بين أهل الغفلة و الوهم و سوء الحفظ و الكذب و اختراع الأحاديث الكاذبة))

و لما كان هو الذي جاءنا عن الله عز و جل و عن رسوله صلى الله عليه و سلم بنقل الرواة حق علينا معرفتهم ووجب الفحص عن الناقلة و البحث عن أحوالهم و إثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة و التثبيت في الرواية مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث و روايته بأن يكونوا أمناء في أنفسهم علماء بدينهم أهل ورع و تقوى و حفظ للحديث و إتقان به و تثبت فيه و أن يكونوا أهل تمييز و تحصيل لا يشوبهم كثير من الغفلات و لا تغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ووعوه و أن يعزل عنهم الذين جرحهم أهل العدالة و كشفوا عن عوراتهم في كذبهم و ما كان يعتريهم من غالب الغفلة و سوء الحفظ و كثرة الغلط و السهو و الاشتباه ليعرف به أدلة هذا الدين و أعلامه و أمناء الله في أرضه على كتابه و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم هؤلاء أهل العدالة فيتمسك بالذي رووه و يعتمد عليه و يحكم به و تجرى أمور الدين عليه و ليعرف أهل الكذب تخرصا و أهل الكذب وهما

وأهل الغفلة و النسيان و الغلط ورداءة الحفظ فيكشف عن حالهم و ينبه عن الوجوه التي كان مجرى روايتهم عليها إن كذب فكذب و إن وهم فوهم و إن غلط فغلط و هؤلاء هم أهل الجرح فيسقط حديث من وجب عنهم إن يسقط حديثه و لا يعبأ به و لا يعول عليه و يكتب حديث من وجب كتب حديثه منهم على معنى الاعتبار و من حديث بعضهم الآداب الجميلة و المواعظ الحسنة و الرقائق و الترغيب و الترهيب .

٢- النصيحة :

و هذا كذلك يكون للأفراد و الجماعات و الهيئات و هذا هدف عظيم من أهداف النقد لقول النبي صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال : لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم ".

رواه مسلم[٥] من حديث تميم الداري رضي الله عنه فمن كان قصده من النقد النصيحة فهو مأجور و يجب أن يقابل بالاحترام و الإجلال و المبادرة إلى قبول نصحه و يمكن التعرف على قصد الناصح بعدة أمور منها عدم التعنيف و الإسرار للمنصوح و عدم فضحه أمام الناس و النظر في الأمر الذي يتكلم فيه و عدم هضم الجانب الإيجابي للمنصوح .... الخ .

و أما من كان قصده إظهار المعايب و الذم و تنفير الناس من العالم مثلا ، فإنه يجب الأخذ على يد هذا الإنسان و زجره من أهل العلم حتى يقلع عن هذا العمل الخسيس . قال الحافظ ابن رجب كما في كتابه : الفرق بين النصيحة و التعبير متكلما على كيفية التفريق بين من كان قصده التعبير : يعرف هذا القصد تارة بإقرار الراد و اعترافه بقرائن تحيط بفعله وقوله فمن عرف منه العلم و الدين و توقير أئمة المسلمين و احترامهم لم يذكر الرد و تبين الخطأ إلا على الوجه الذي يراه غيره من أئمة العلماء.

وأما في المصنف و في الحث وجب حمل كلامه على الأول ومن حمل كلامه الحالي على ما ذكر فهو ممن يظن بايرى الظن سوء الظن و ذلك من الظن الذي حرمه الله و رسوله و هذا داخل في قوله سبحانه و تعالى : (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)سورة النساء الآية (١١٢) فإن الظن ممن لا يظهر منه أمارات السوء مما حرمه الله و رسوله فقد جمع هذا الظان بين اكتساب الخطيئة و الإثم ورمي البريء

بها في هذا الوعيد إذا ظهرت منه أعني هذا الظان أمارات السوء مثل كثرة البغي و العدوان و قلة الورع و إطلاق اللسان و كثرة الغيبة و البهتان و الحسد للناس على ما أتاهم الله من فضله و الامتنان و شدة الحرص على المزاحمة على الرئاسات قبل الأوان ومن عرفت منه هذه الصفات التي لا يرضى بها أهل العلم و الإيمان فإنه إنما

٥- شعب البيهقي الجزء (٤) الصفحة (٣٢٣)

يحمل تعرضه للعلماء و رده عليهم على الوجه الثاني فيستحق حينئذ مقابلته بالهوان . ومن لم تظهر منه أمارات بالكلية تدل على شي ء فإنه يجب أن يحمل كلامه على أحسن محملاته و لا يجوز حمله على أسوأ حالاته و قد قال عمر رضي الله عنه "و لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوء و أنت تجد لها في الخير محملا " و قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : " إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له العذر فإن لم تجد ، فقل : لعل له عذر " وقال أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي – رحمه الله – : " إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له العذر جهدك فإن لم تجد له عذرا فقل في نفسك لعل لأخي عذرا لا أعلمه " و قال الإمام العلامة ابن القيم – رحمة الله عليه – : " و الكلمة الواحدة يقولها اثنان ، يريد بها أحدهما : أعظم الباطل و يريد بها الآخر : محض الحق والاعتبار بطريقة القائل و سيرته و مذهبه ، و ما يدعو إليه و يناظر عنه "

وقال الإمام أبو حاتم ابن حبان – رحمة الله عليه – السبب المؤدي إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة أشياء إما وجود الزلة من أخيه – و لا محالة يزل – فلا يغضي عناه و لا يطلب لها ضدها وإبلاغ واش يقدح فيه ، و مشي عاذل بثلب له فيقبله و لا يطلب لتكذيبه سببا و لا لأخيه عذرا وورود ملل يدخل فإن الملالة تورث القطع ولا يكون لملول صديق "

٣– الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر دافع من دوافع النقد و القيام به أمر مشروع لقوله تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ). آل عمران الآية (١٠٤) .

و لقوله صلى الله عليه و سلم كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه[٦] ..." من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان " فالنقد من التغيير باللسان.

٦ . صحيح مسلم الجزء (١) الصفحة (٥٠) حديث رقم (١٦٨)

٤– الحقد والكراهية :

لقد حرم الإسلام التحاسد و التباغض الذي ينشأ عنه الغيبة و النميمة و البهتان فقال عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه[٧] ".... لا تحاسدوا و لا تباغضوا ... المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله و لا يحقره ....." الحديث . فالمسلم إذا لم يتأدب بآداب الشرع قدح في عرض إخوانه و اغتابهم لا لشيء إلا لدافع الحقد و الكراهية فتجده يتتبع عثرات إخوانه و أخطائهم فإذا وجد من ذلك شيئا أشاعه بين الناس و يقصد التشفي بأخيه و هذا عياذا بالله ينبئ عن خسة و مرض في القلب قال الإمام الفضيل بن عياض " إن علامة المنافق أن يفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه "

٥– الحسد :

و قد يكون الدافع للناقد الحسد الذي ملأ قلبه على إخوانه لنعمة أنعم الله بها عليهم كأن يكونوا تفوقوا عليه علما أو جاها أو مالا أو غير ذلك . و الحسد يعمي و يصم صاحبه فيجعله لا يلتفت إلى نفسه لا يحاسبها و يخوفها بالله تعالى فهو يقرأ القرآن و يجد فيه أن الله ذم اليهود لحسدهم ،، و قال : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) النساء من الآية (٥٤) . فيتشبه بهم و يقرأ قول النبي عليه الصلاة و السلام : " و لا تحاسدوا و كونوا عباد الله إخوانا "[٨].

(لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق و رجل أتاه الله حكمة فهو يقضي بها و يعلمها)[٩] . مع هذا لا يتعض والله المستعان.

فالحسد على كل حال رأس كل بلية قد يؤدي بالإنسان إلى أن يقتل كما حاول بنو يعقوب بأخيهم يوسف (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يوسف من الآية (٩) .

و أخطر شيء في هذا الجانب ما يحصل بين العلماء من كلام بعضهم ببعض فإن خطره يتعدى إلى الأمة ذلك بزعزعة ثقة المسلمين بهم و ينتج عن ذلك خدمة أعداء الله من حيث لا نشعر و رحمة الله على سعيد بن جبير حيث قال : " استمعوا لعلم العلماء و لا تصدقوا بعضهم على بعض فو الذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من

٧ . الأربعون النووية الجزء (١) الصفحة (٣٥) الحديث الخامس والثلاثون

٨ . مسند أحمد الجزء (١٥) الصفحة (٤٧٥) الحديث رقم (٩٧٦٣)

٩ . شعب الإيمان – البيهقي الجزء (٦) الصفحة (٧٣) حديث رقم (٧٥٢٨)

التيوس في ضرابها ....." ومن هنا لزم على طلبة العلم و العامة أن لا يتناقلوا كلام العلماء في بعضهم و لا يطعنوا بالعلماء بحجة أن فلانا قال فيه كذا بل عليهم أن يتأدبوا بأدب السلف قال الإمام الذهبي " كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لا سيما إذا كان لحسد أو مذهب أو هوى "

٦- الهوى :

الهوى مرض من أمراض القلوب وهو دافع قوي من دوافع النقد و لهذا حذر الله سبحانه و تعالى منه في آيات كثيرة فالهوى قد يكون إلها يعبد من دون الله قال تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) الجاثية من الآية (٢٣) و الهوى سبب من أسباب الغفلة قال تعالى : (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) الكهف الآية (٢٨) والهوى سبب من أسباب الضلال (وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ص آية(٣٨) فإتباع الهوى هو أصل الضلال و الكفر و معلوم أن ذلك يتفاوت تفاوتا عظيما فمن أتباع الهوى ما يوصل إلى ما ذكر و منه ما هو أقل من ذلك و كل من خالف الحق لا يخرج عن إتباعه للهوى أو الاعتماد عليه على الظن الذي لا يغني من الحق شيئا كما قال تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ)النجم (٣٨) فمن كان يعتقد أن قوله صحيحا و له فيه حجة يتمسك بها فعليه إتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئا و تكون حجته شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة و معاني متشابهة لم يميز بين حقها و باطلها فإذا ميز الحق فيها عن الباطل زال الاشتباه

(انظر رسالة الهوى و أثره في الخلاف للشيخ الغنيمان)

و رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول كما في منهاج السنة (٥/ ٢٥٥):

" وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه و أنه على السنة فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا و أن يكون الدين كله لله بل يغضبون على من خالفهم و إن كان مجتهد معذورا لا يغضب الله عليه و يرضون عمن يوافقهم و إن كان جاهلا سيء القصد و ليس له علم و لا حسن يحمده الله و رسوله و يذمون من لم يذمه الله و رسوله و تصير موالاتهم و معاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله و رسوله و هذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم و يقولون : هذا باغ لا ينظرون إلى موالاة الله و رسوله و معاداة الله و رسوله ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ....."

ويقول في (ص ٢٥٦) " و صاحب الهوى يعميه الهوى و يصمه فلا يستحضر ما لله و رسوله في ذلك و لا يطلبه و لا يحرص لرضا الله و رسوله و لا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه و يغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه و يكون مع ذلك معه شبهة دين : إن الذي يرضى له و يغضب له أنه السنة و هو الحق و هو الدين فإذا قدر أن الذي معه الحق المحض دين الإسلام و لم يكن قصده أن يكون الدين كله لله و أن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه و طائفته أو الرياء ليعظم هو و يثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة و طبعا أو لغرض من الدنيا لم يكن لله و لم يكن مجاهدا في سبيل الله فكيف إذا كان الذي يدعي الحق و السنة هو كنظيره معه حق و باطل وسنة و بدعة و مع خصمه حق وباطل و سنة و بدعة ؟ هذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا و كفر و فسق بعضهم بعضا" .

٦- الهوى :

الهوى مرض من أمراض القلوب و هو دافع قوي من دوافع النقد و لهذا حذر الله سبحانه و تعالى منه في آيات كثيرة فالهوى قد يكون إلها يعبد من دون الله قال تعالى

(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) الجاثية من الآية (٢٣) والهوى سبب من أسباب الغفلة قال تعالى: (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)الكهف آية (٢٨)

و الهوى سبب من أسباب الضلال (وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ص من آية (٢٦) فإتباع الهوى هو أصل الضلال و الكفر و معلوم أن ذلك يتفاوت تفاوتا عظيما فمن إتباع الهوى ما يوصل إلى ذكر و منه ما هو أقل من ذلك و كل من خالف الحق لا يخرج عن إتباعه للهوى أو الاعتماد عليه على الظن الذي لا يغني من الحق شيئا قال تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ)النجم آية(٢٣) فمن كان يعتقد أن قوله صحيحا و له فيه حجة يتمسك بها فعليه إتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئا و تكون حجته شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة و معاني متشابهة لم يميز بين حقها و باطلها فإذا ميز الحق فيها عن الباطل زال الاشتباه (انظر رسالة الهوى و أثره في الخلاف للشيخ الغنيمان) .

و رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول كما في منهاج السنة (٥ / ٢٥٥) " .

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم و ما نسب إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون دين كلمة الله بل يغضبون على من خالفهم و إن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه و يرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلا سيء القصد و ليس له علم و لا حسن قصد فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله و رسوله و يذموا من لم يذمه الله و رسوله و تصير موالاتهم و معاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم و يقولون : هذا باغ لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ....."

و يقول في (ص ٢٥٦) " و صاحب الهوى يعميه الهوى و يصمه فلا يستحضر ما لله و رسوله في ذلك و لا يطلبه و لا يحرص لرضا الله و رسوله و لا يغضب لغضب الله و رسوله بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه و يغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه و يكون مع ذلك معه شبهة دين : – إن الذي يرضى له و يغضب له أنه السنة

وهو الحق وهو الدين فإذا قدر أن الذي معه الحق المحض دين الإسلام و لم يكن قصده أن يكون الدين كله لله و أن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة و طبعا أو لغرض من الدنيا لم يكن مجاهد في سبيل الله فكيف إذا كان الذي يدعي الحق و السنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة و مع خصمه حق و باطل و سنة و بدعة ؟ هذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا و كفر بعضهم بعضا و فسق بعضهم بعضا " .

٧– التقليد :

أكثر ما نشاهده من فوضى في جانب النقد خصوصا في أوساط الشباب لا يكون صادرا عن علم ومعرفة و لكنه ناشئ عن التقليد الأعمى و التعصب المقيت من أناس يدعون أنهم يحاربون التقليد و التعصب بمجرد أنه سمع فلانا يقول كذا و كذا و إذا به ينعق بما لا يعرفه كأنه ببغاء . و إذا حصل تراجع من الأول تراجع الآخر و هكذا .

هذا وقد نهى الله تعالى عن التقليد فقال حاكيا عن المشركين ذاما لهم إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)الزخرف آية (٢٢) والآثار كثيرة عن السلف في النهي عن التقليد . يمكن مراجعتها في مقدمة كتاب (صفة صلاة النبي صلى الله عليه و سلم) لشيخنا الألباني حفظه الله .

٨- التعصب :

و هو من أظهر الأسباب في هذه الأزمان المتأخرة إذ أن أكثر الخائضين فيه متعصبون إما لمذاهبهم أو أحزابهم أو جماعاتهم أو هيئاتهم قال العلامة ابن ناصر الدين الدمشقي بعد أن ذكر أهل الجرح و التعديل : " فإذا نظرنا في كلام من ذكر و أشير إليه رأينا كلا منهم يعتمد في الجرح و التعديل عليه و لم نرى أحدا منهم عمد إلى أمام جليل نبيل رماه عن الإسلام بالتحويل و لا أفصح بكفره عن الإسلام تصريحا و لا حكم عليه بعد موته بالكفر تجريحا حاشا أئمة هذه السنة من الميل عن سنن الهدى أو الانحراف إلى قلة الإنصاف بإتباع الهوى لكن بعض الأعيان تكلم في بعض الأقران مثل كلام أبي نعيم في ابن منده و ابن منده فيه ، فلا نتخذ كلامهما في ذلك عمدة بل نحكيه لأن الناقد إذا بحث عن سبب الكلام في مثل ذلك و انتقده رآه إما بعداوة أو لمذهب أو لحسد وقل أن يسلم عصر بعد تلك القرون الثلاث من هذه المهالك ومن نظر في التأريخ الإسلامي فضلا عن غيره حقق ذلك و ما وقع منه في الأغلب كان سببه المذهب " (الرد الوافر ص ٤٨ – ٤٩).

آداب النقد :

هنالك آداب جمة للنقد من لم يتحل بها كان ظالما لنفسه و للآخرين و كان سالكا طريقا وعرا ، طريق أهل الأهواء و البدع ، و سأعرج هنا لأهم هذه الآداب التي يجب على الناقد أن متحليا بها :

١- العلم :

فالنقد لابد أن يكون مبنيا على العلم القاطع و لا يجوز أن يكون مبنيا على الظن ، و قد حذر الله تعالى من ذلك فقال سبحانه و تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) الحجرات آية (١٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : " يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن و هو تهمة و التخون للأهل و الأقارب و الناس في عير محله لأن بعض ذلك يكون أثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا " .

و يقول الإمام الشوكاني في كتابه (فتح القدير ٥/ ٦٤): الظن هنا هو مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش و لم يظهر عليه ما يقتضي ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لأن من الظن ما يجب إتباعه فأن أكثر الأحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس و خبر الواحد و دلالة العموم و لكن هذا الظن الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشكل و التهمة قال الزجاج : هو أن يظن بأهل الخير سوءا فأما أهل السوء و الفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم "

و يقول الإمام القرطبي (في تفسيره) (١٦ / ٣٣١): بعد أن ذكر الحديث " إياكم و الظن ...." قال : " قال علماؤنا : فالظن هنا و في الآية هو التهمة و محل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا و لم يظهر عليه ما يقتضي ذلك " و حذر الله من الكلام بغير علم فقال : (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)الإسراء آية (٣٦)

قال الحافظ ابن كثير (٣ / ٤٠) : " وقال العوفي لا تذم أحد بما ليس لك به علم .....

و قال قتادة : لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله و مضمون ما ذكر أن الله تعالى نهى عن القول بلا عمل بل بالظن الذي هو التوهم و الخيال " المراد و ذكر الإمام الشوكاني في تفسيره أن من معاني الآية :

(لا تذم أحدا بما ليس لك به علم) . وقال الإمام الشنقيطي في (أضواء البيان)(٥/ ٥٧٦) : " نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن إتباع الإنسان ما ليس له به علم و يشمل ذلك قوله : رأيت و لم ير و سمعت و لم يسمع و علمت و لم يعلم و يدخل فيه كل قول بلا علم و أن يعمل الإنسان بما لا يعلم . و قد أشار جل و علا إلى هذا المعنى في آيات أخر كقوله : (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)البقرة آية (١٦٩) و قوله: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) الأعراف آية (٣٣) و قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) الحجرات آية (١٢) وقوله :(قُلْ أَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) يونس آية (٥٩) وقوله : (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ) النساء آية (١٥٧) والآيات بمثل هذا في ذم إتباع غير العلم المنهي عنه في هذه الآية الكريمة كثيرة جدا و في الحديث " و قال سبحانه و تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى) التجم آية (٢٣). ومن لوازم الناقد أن يكون عالما بالشريعة عارفا بالمسائل التي يتكلم فيها محيطا بأدلتها إحاطة جيدة ، و يجب عليه أن يكون سائرا على منهج أهل السنة و الجماعة مجانبا لمسالك أهل البدع .

٢- التجرد عن الهوى :

من الأمور المهمة قبل أن يصدر الإنسان حكمه في الآخرين أن يكون متجردا عن الهوى من أجل أن يكون النقد صوابا ، لأن التجرد عن الهوى يجعل الناقد لا ينسى ما للمتكلم فيه فرد كان أو جماعة من المحاسن .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا) النساء آية (١٣٥) فالهوى أمر خفي يتسلل إلى قلب المرء بالتدرج حتى يسيطر عليه و هو لا يشعر و لذلك قال الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام: (وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ص آية (٢٦) فجعل إتباع الهوى ضلالا عن سبيل الله القويم ، و صدق من قال :

و عين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساوي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في (منهاج السنة النبوية) : " .....

وصاحب الهوى يعميه الهوى و يصمه فلا يستحضر ما لله ولرسوله في ذلك ولا يطلبه و لا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ويكون مع ذلك معه شبهة دين : – إن الذي يرضى له و يغضب له أنه السنة وهو الحق وهو الدين فإذا قدر أن الذي معه الحق المحض دين الإسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا لم يكن مجاهدا في سبيل الله فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة ومع خصمه حق

وباطل وسنة وبدعة " فعلم بهذا أن التجرد عن الهوى أصل مهم للناقد ، سواء كان للأفراد أو للهيئات والجماعات.

٣– التثبت و الروية قبل النقد :

من الواجب على الناقد أن يتثبت مما ينقل إليه خاصة فيما ينقل إليه في حق الدعاة والجماعات والهيئات الإسلامية ، ويجب عليه أن لا يعتمد على (قيل لي) (وبلغني) ،.....و ..... الخ . قال الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) الحجرات آية (٦) و نقل الكلام في الآخرين دون تثبت فيه إثم عظيم على صاحبه ،قال الله عز وجل في حق الذين خاضوا في اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة :

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النور آية(١١) وقد أنكر الله عز وجل على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة فقال عز وجل: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) النساء آية(٨٣) . قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية : " فيه إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبربها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون لها صحة ، وقد قال مسلم في مقدمة صحيحه[١٠] : حدثنا أبو بكر بن شيبة حدثنا علي بن حفص

١٠ . صحيح مسلم الجزء (١) الصفحة (٨) حديث رقم (٧) سنن أبي داود الجزء (٤) الصفحة (٤٥٥) حديث رقم (٤٩٩٤)

حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (كفى المرء كذبا أن يحدث بكل ما مسمع " و كذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من (سننه) عن محمد بن الحسين بن أشكاب عن علي بن حفص عن شعبة مسندا .

ورواه مسلم أيضا من حديث معاذ بن هشام العنبري وعبد الرحمن بن مهدي وأخرجه أبو داود أيضا من حديث حفص بن عمرو النمري ثلاثتهم عن شعبة عن حبيب بن عاصم به مرسلا .

و في الصحيحين[١١] عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم "نهى عن قيل و قال" أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت و لا تدبر و لا تبين و في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " بئس مطية الرجل زعموا " و في الصحيح[١٢] : " مَنْ حَدَّثَ عَنِّى بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ " و لنذكر هنا حديث عمر بن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم طلق نسائه فجاء من منزلة حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه و سلم فاستفهمه : أطلقت نسائك ؟ فقال : (لا) فقلت : الله أكبر و ذكر الحديث بطوله . وعند مسلم[١٣] : أطلقتهن؟ فقال : (لا) فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه و سلم نساءه ، ونزلت هذه الآية (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) النساء آية (٨٣) فكنت أنا استنبطت الأمر . ومعنى " يستنبطونه " أي يستخرجونه من معادنه يقال : استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قعورها .

٤-الإنصاف والعدل

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) قال الامام ابن جرير رحمه الله: "يعني بذلك جل ثناءه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم

١١ . سنن أبي داود الجزء (٤) الصفحة (٤٤٩) الحديث رقم (٤٩٧٤)

١٢ . صحيح مسلم الجزء (١) الصفحة (٧) حديث رقم (١)

١٣ – صحيح مسلم الجزء (٤) الصفحة (١٨٨) حديث رقم (٣٧٦٤)

وأعدائكم ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حدث لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم ولا تقصروا فيما حدث لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي وأعملوا فيه بأمري "وأما قوله:(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) فإنه يقول ولا يحملنكم عداوة قوم أن لا تعدلوا في حكمكم منهم وسيرتكم بينهم فتجيروا عليهم من أجل ما بينكم من العداوة".

قال الامام الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة الفضيل بن عياض من (سير أعلام النبلاء):"...وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع" ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في (منهاج السنة) "...والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل لا بجهل وظلم كحال أهل البدع".

وقال أيضا كما في (درء تعارض العقل والنقل)[١٤] بعد أن ذكر طائفة من أهل العلم الذين كانت له مقولات مبتدعة قال:(...ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيها بعلم وصدق وعدل وإنصاف لكن لما ألتبس عليهم وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده، والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل وخيار الأمور أوساطها...والله يتقبل من جميع عباده الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات ولا ريب أن من أجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول . صلى الله عليه وسلم . وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه...) ويقول أيضا رحمه الله كما في مجموع الفتاوى:[١٥]"من له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير الأمة فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وغلطهم قليل النسبة إلى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد والتي يعذرون فيها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الأنفس..." ويقول أيضا كما في مجموع الفتاوى:[١٦] والإنسان خلق ظلوما جهولا فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر فيحتاج دائما إلى علم مفصل يزول به جهله وعدل في محبته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه وإعطائه ومنعه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافي جهله وعدل ينافي ظلمه فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل وإلا كان من الجهل والظلم ما يخرج به من الصراط المستقيم وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان:(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) الفتح آية (١) إلى قوله تعالى:(

---

١٤. (٢/١٠٢-١٠٣).

١٥. (١١/٤٣) .

١٦. (٤/٣٨).

وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) الفتح آية(٢) فإذا كان هذا حاله في آخر حياته أو قريبا منها فكيف حال غيره) ويقول أيضا:[١٧] (وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق ويتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يبتدعون ومن أجتهد فأخطأ خطأ يعذره فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عذروه...) إلى أن قال : (والله يحب الكلام بعلم وعدل ويكره الكلام بجهل وظلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة) وقد حرم سبحانه وتعالى الكلام بلا علم مطلقا وخص القول عليه بلا علم بالنهي فقال تعالى:(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) الإسراء آية (٣٦) وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) الأعراف آية (١٦٩) وأمر بالعدل على أعداء المسلمين فقال تعالى:(كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)المائدة آية (٨).

والخلاصة في هذا: أنه لا يجوز النقد والتقويم إن احتيج إلى ذلك شرعا إلا بشرطين: الأول: العلم، الثاني: العدل والإنصاف فإن تكلم بغير علم فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وطريقة سلفنا الصالح لقول الله عز وجل: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) الإسراء آية (٣٦) .

وإن تكلم بغير عدل وإنصاف – بحيث كان ظالما جائرا – فقد خالف قول الله عز وجل: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)المائدة آية (٨) ، ونتج عن ذلك الشحناء والبغضاء، واختلاف القلوب وتمزق الصفوف فيؤدي هذا كله إلى الفشل المحقق، وكان المتكلم بغير علم ولا عدل ولا إنصاف خادما لأعداء الإسلام من حيث لا يشعر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٥– الموازنة بين السلبيات والإيجابيات:

مما لا شك فيه أن " كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " وأنه لا يسلم من الخطأ أحد سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإذا علم ذلك فلا يجوز أن نطرح أرضا كل ما عند ذلك الفرد أو تلك الجماعة بل يجب علينا أن نقارن بين السلبيات والإيجابيات فأما السلبيات فتجتنب وأما الإيجابيات فيؤخذ بها، فإذا فعلنا ذلك فقد

١٧ . مجموع الفتاوى(١٦/٩٦) .

عدلنا وأنصفنا قال تعالى:(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)آل عمران آية (٧٥) فذم سبحانه وتعالى اليهود عموما ثم بين أن بعضهم لا يخون الأمانة بل يؤديها إلى أصحابها، ولذا قال تعالى: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) المائدة آية (٨) ، وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا كان كثيرا ما يشرب الخمر ثم يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقيم عليه الحد فجيء به مرة فجلد فقال رجل: لعنة الله عليه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله "[١٨] أو كما قال عليه الصلاة والسلام فهذا الصحابي رضي الله عنه وقع في هذا المنكر وتكرر منه ولكن لا يعني هذا أنه صار فاسدا بالكلية، وفي حديث حذيفة الطويل أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم (...وهل بعد ذلك الشر من خير قال: (نعم وفيه دخن...)[١٩] الحديث فأثبت النبي عليه الصلاة والسلام الخيرية لبعض القوم مع وجود الدخن بينهم.

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: (إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه) ، وقال أيضا: (ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله) [٢٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في منهاج السنة[٢١]"... ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة أهل البيت وغيرهم قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونا بالظن ونوع من الهوى الخفي فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي إتباعه فيه وإن كان من أولياء الله المتقين، ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين : طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل وإتباعه عليه وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه بل في بره وكونه من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان وكلا هذين الطرفين فاسد، والخوارج والروافض وغيرهم من ذوي الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه فيعظم الحق ويرحم الخلق ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم، وقد بسط هذا في موضعه "وأما تلميذه العلامة ابن

---

١٨ . الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم

١٩ . صحيح البخاري الجزء (٦) الصفحة (٢٥٩٥) حديث رقم ((٦٦٧٣))

٢٠ . البداية والنهاية(ج٩ص١٠٠)ط مكتبة المعارف.

٢١ . (٥٤٣/٤، ٥٤٤).

القيم فقال كما في كتابه القيم(أعلام الموقعين):[٢٢]" ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين ".

قلت فالناس في هذا الجانب على نوعين:

الأول: من ينظر إلى بعض الناس أو الكتب أو الجماعات بعين الرضا فلا يرى ما هنالك من معايب.

الثاني: من ينظر بعين السخط فلا يرى ما هنالك من الإيجابيات والحق وسط لا إفراط ولا تفريط.

قال العلامة ابن القيم كما في طريق الهجرتين:[٢٣] "عادتنا في مسائل الدين كلها دقها وجلها أن نقول بموجبها لا نضرب بعضها ببعض ولا نتعصب لطائفة بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق ونخالفها فيما معها من خلاف الحق لا نستثني من ذلك طائفة ولا مقالة، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ونلقى الله به ولا قوة إلا بالله " انتهى.

والخلاصة: أن من كان همه تتبع الأخطاء والبحث عن الهفوات مع تغافله عن محاسن الأفراد والجماعات والكتب وغير ذلك فهذا يدل على سوء قصده ونيته والله المستعان.

٦- القبول :

من آداب النقد أن يكون المنتقد – بفتح القاف – عنده استعداد لقبول النقد و تصحيح مجرى الأمور ، و قبول النقد من الصفات الحسنة عند الأفراد و الجماعات . أما الذي ليس عنده استعداد لتقبل النقد و تصحيح مسار نفسه أو جماعته لاعتقاده أن النقد ينقص من قدره أو يزعزع ثقة أتباعه منه أو غير ذلك فأن هذا يعتبر مؤشر خطر على الأفراد والجماعات و لقد كان السلف الصالح ينقد بعضهم بعضا و يجدون القبول التام والترحيب والسرور بهذا الانتقاد لأنه مما يعينهم على طاعة الله عز وجل و لم يكن الواحد منهم يرى أن ذلك

٢٢ . (٢٨٣/٣).

٢٣ . (ص٣٩٣).

انتقاصا من قدره أو حط لكرامته ، و رحم الله أئمتنا حيث كانوا يوصون بقبول الحق وترك سواه مهما كان قائله . فهذا الإمام الشافعي يقول :" إذا وجدتم كلامي يخالف كلام رسول الله فارموا بكلامي عرض الحائط "

٧- الرفق :

من الآداب التي حثنا الشرع عليها " الرفق " لقول الله تعالى : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)فصلت ويقول النبي عليه الصلاة و السلام كما في الصحيح[٢٤] : " إن الله رفيق يحب الرفق و يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف و ما لا يعطي على سواه " و يقول أيضا : " ما كان الرفق في شيء إلا زانه و ما نزع من شيء إلا شأنه).

وإلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الجانب فدلت الآية الكريمة و الأحاديث النبوية على أن الرفق ممدوح و أنه خلق عظيم و أنه يزين الأمور . فعلى الناقد أن يرفق بمن ينقده فذلك أحرى أن يتقبل نقده بصدر رحب .

٨- النصح في السر :

قال الحافظ ابن رجب كما في جامع العلوم و الحكم :[٢٥] " و كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد و عظوه سرا حتى قال بعضهم من وعظ أخاه بينه وبينه فهي نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه " انتهى.

وربنا سبحانه و تعالى حرم إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وحرم فضح المذنب بإظهار ذنبه على رؤوس الأشهاد قال الرؤوف الرحيم :(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) النور آية(١٩) وفي الحديث الصحيح المتفق عليه[٢٦] : " ..... و من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " و في حديث آخر عنه عليه الصلاة و السلام " من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة " رواه أبو داود من حديث عقبة بن عامر .

---

٢٤ . شعب الأيمان البيهقي الجزء (٧) الصفحة (٤٨٠) رقم الحديث (١١٠٦٥)

٢٥ . ص ٧٧ .

٢٦ . الجزء (٢) الصفحة (٣) حديث رقم (٥٠٤)

حتى أن الله تعالى : " يدنى عبده يوم القيامة و يقول فعلت في يوم كذا كذا ... فيقول العبد: نعم يا رب فيقول الله و هو أرحم الراحمين:" أنا سترتها عليك في الدنيا و استرها عليك اليوم "[٢٧] ورحم الله الفضيل بن عياض حيث يقول : " المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير " وقال عبد العزيز بن أبي داود : " كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئا يأمره في رفق فيؤجر في أمره ونهيه وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخا ه ويهتك ستره " ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال : "

تعمدني بنصحك في انفرادي و جنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني و عصيت أمري فلا تغضب إذا لم تعط طاعة

و قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله – كما في (الفرق بين النصيحة و التعيير)[٢٨] : " كان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه،ويحبون أن يكون سرا فيما بين الآمر والمأمور فإن هذا من علامات النصح ، فإن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له ، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها " و انتهى .

و مما لاشك فيه أنه قد يستوجب أحيانا أن يكون النصح علنا إذ أن النصيحة تختلف باختلاف المنكر ومرتكب المنكر . قال العلامة الحافظ بن رجب : كما في (جامع العلوم و الحكم)[٢٩] " و اعلم أن الناس على ضربين :

أحدهما : من كان مستورا لا يعرف بشيء من المعاصي فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة محرمة وهذا هو الذي وردت فيه النصوص . ومثل هذا لو جاء تائبا نادما وأقر بحده لم يفسره ولم يستفسر بل يؤمر بأن يرجع و يستر على نفسه _ إلى أن قال _ :

الثاني : من كان مشتهرا بالمعاصي معلنا بها ولا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له هذا هو الفاجر المعلن وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصري وغيره

---

٢٧ . مسند أحمد بن حنبل الجزء (٢) الصفحة (١٠٥) حديث رقم (٥٨٢٥)

٢٨ . ص ٣٩ .

٢٩ . ص ٣٢٠– ٣٢١ .

ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود وصرح بذلك بعض أصحابنا واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم " واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها " ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ ولم يبلغ السلطان بل يترك حتى يقام عليه الحد ليكشف ستره ويرتدع به أمثاله . وقال مالك : " من لم يعرف منه أذى للناس وإنما كانت منه زلة فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام وأما من عرف بشر أو بفساد فلا يجب أن يشفع له أحد و لكن يترك حتى يقام عليه الحد) حكاه ابن المنذر و غيره – انتهى .

فعلى الناقد أن يزن الأمور بميزان عدل ويوازن بين المصلحة والمفسدة ويعرف متى تكون النصيحة سرا ومتى تكون النصيحة علنا والله الموفق .

الخلاصة :

و خلاصة القول أن النقد له أسباب منها ما هو مشروع وما هو غير مشروع وله آداب يجب التحلي بها ، وله متخصصون يجب أن يذعن لهم وأن يترك الميدان لأهله والنقد من حيث هو مهم في تقويم سيرة الأفراد والجماعات . فعلينا أن نوسع صدورنا للنقد البناء و يجب علينا قبوله بصدر رحب.

هذا واسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث المتواضع فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان خطأ فمن نفسي وتقصيري . وأسأل الله العفو إنه سميع مجيب .

و كتب أبو عبد الرحمن عقيل المقطري

تعز . اليمن